الفصل الثامن

الرؤية الصحيحة للإسلام

الصورة الغربية الشائهة للإسلام

بصفة عامة يمكن أن نقول إن الصورة الغربية للإسلام هي على الأغلب نقيض الصورة الحقيقية المعروفة له، وقد شرع المسيحيون في رسم الصورة الزائفة للإسلام مبكرًا جدًّا، وواظبوا على الترويج لها إلى اليوم، وكانت معركة دائمة ضد الإسلام ميدانها الأساسي الكتب والخطب والرسائل، وتكثفت بعد اختراع الطباعة، ثم تفجرت في المواقع الإلكترونية التي لا تكاد تحصى!

وفي بداية القرن العشرين صدرت كتب ضخمة تهاجم الإسلام وتدعوا إلى المسيحية باللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية، منها: كتاب الهداية (٤ مجلدات)، كتاب الباكورة الشهية، وكتاب تنوير الأفهام في مصادر الإسلام، وكتاب ميزان الحق، وكتاب الكفارة، وكتاب مصباح الهدى إلى سر الفدى، وكتاب البرهان الجليل في صحة الأناجيل، وكتاب دعوة المسلمين إلى مطالعة الكتاب المقدس الثمين، وهي: "ممتلئة طعنًا وافتراءً على الإسلام والمسلمين[١] .

وأثارت هذه الكتب حفيظة بعض العلماء المسلمين، ومنهم المرحوم الأستاذ محمد طاهر التنِّير، الذي ألف كتاب: "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية" حيث بيّنَ أن عقيدة التثليث مأخوذة عن الوثنيين المصريين القدامى وعن الوثنيين الهنود[٢]

---

(١) محمد طاهر التنِّير؛ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية؛ ص ١٥ ، ١٦ .
(٢) نفسه؛ ص ٣٠ ، ٣١ .

وكذلك **عقيدة تقديم أحد الآلهة فداءً** عن الخطيئة، وعقيدة **حدوث الظلمة عند موت المخلص**، وعقيدة ميلاد الإله من أم عذراء (الإله كرشنا وأمه برفاتي) عند الهنود[١] وعدة عقائد أخرى هي في الوثنية وفي المسيحية المُحرفة المعروفة اليوم[٢].

الرؤية المفتراة للإسلام ورسوله

وصوَّر الغربيون النبي محمد ﷺ في صورة مختلقة لا صلة لها بالحقائق، ولذلك أنا أسميها افتراءات لا شبهات.

يقول الدكتور محمد ماهر حمادة – أستاذ الحضارة في جامعة دمشق – إن صورة محمد لدى الأوروبيين هي صورة النبي الكاذب، مؤسس أشنع الفرق في تاريخ المسيحية[٣] وذلك لزعمهم أن محمداً كان كاهنًا مسيحيًّا ثم انشق عن الكنيسة!!

ولقد بلغ بهم الافتراء حد القول إن المسلمين يعبدون ثلاثة آلهة هم: (تيرماجان ومحمد وأبولو)![٤].

ويعترف "وات" الذي ألَّفَ كتاب "محمد في المدينة" بأنه: "لم يصوَّر أحد بمثل هذه الصورة القبيحة، ولم يؤذَ أحد كما صوَّرَ رسول الله وكما أوذي[٥] ولقد كانت غالبية أقاويلهم: "محض اختلاق"[٦].

يقول "بول فندلي" عضو الكونجرس الأمريكي لمدة عشرين عامًا، إن بداية تعرفه على الإسلام كانت سيئة: "ذلك أنني ضللْتُ بشأن المسلمين والدين الإسلامي عندما كنت أدرس في مدرسة الأحد الأرثوذكسية في مدينة جاكسونفيل في ولاية إلينوى،

---

(١) محمد طاهر التنّير؛ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية؛ ص ٧٨.
(٢) انظر فصول الكتاب من السادس إلى الأخير.
(٣) راجع كتابه: مراجع مختارة عن حياة رسول الله ﷺ؛ ص ٥٥.
(٤) نفسه؛ ص ٥٧. (٥) نفسه؛ ص ٥٥. (٦) نفسه؛ ص ٧٦.

واستقر ذلك التضليل في ذهني حتى بلغت خريف العمر". ويقول: "قالت لنا معلمتنا في تعريفها للمسلمين: "إن شعبًا أميًّا وبدائيًّا وميالاً للعنف، يعيش في مناطق صحراوية في الأراضي المقدسة، ويعبد (إلهًا غريبًا)، وما زلت أذكر من طفولتي المبكرة أنها كانت تسميهم "محمديين" وتواظب على تكرار قولها: "إنهم ليسوا مثلنا"... وظللت معظم حياتي أحمل صورة عن "المحمديين" الغرباء الجهلة الذين يضمرون الأذى للآخرين"[1].

فهذه هي بعض الافتراءات التي تَرِد في الإعلام الغربي، اليوم، تقول للأطفال الصغار إن محمداً كان يعبد إلهًا غريبًا، في قوم من البدو الأميين الجهلة العدوانيين الذين يَضمرون الأذى للآخرين، إنهم ليسوا أصحاب دين سماوي، بل أتباع نبي كاذب، ولذلك سموا باسمه "المحمديين". وتلك هي صورة الإرهابي الذي رسمه الكاريكاتور الشهير في الدانمارك وغيرها من دول الغرب، وهي بذور السياسة التي قامت على غرض واحد هو: مقاومة "الإرهاب" – والحق أنها مقاومة للإسلام، وقد وَحَّدُوا بين الإرهاب والإسلام، وتولى إعلامهم نشر هذه الفكرة الشيطانية في العالم أجمع، وصوروا النبي محمدا ﷺ على أنه مخترع الإرهاب وراعيه!

هذه هي صورة محمد وأمته ودينه لدى الغربيين في إعلامهم وتعليمهم.

وقد تحرر بعض الغربيين من الأحكام المسبقة، واقتربوا من الحقائق، لكن الصورة الشائعة الطاغية للنبي محمد ﷺ والإسلام لم تتغير، وقد جمعت "كارين أرمسترونج" كثيراً من الافتراءات الزائفة في وصف النبي والإسلام، والتي تثير الاشمئزاز وفندتها! فهم يصفون النبي الكريم ﷺ بالدجال العظيم، والوحش، والفاسق! وزعموا أنه درَّب حمامة على التقاط حبات البازلاء من أذنيه ليوهم الناس أن

---

(١) انظر كتابه: لا صمت بعد اليوم"؛ الترجمة العربية منشورة في جريدة الحياة اللندنية في ٢٠٠١/٨/٢.

روح القدس يتنزل عليه! وأنه أجبر الناس بحد السيف على اعتناق دينه! وقالوا إن الإسلام مجرد صورة مشوهة من المسيحية، وإن المسلمين يعتنقون عقيدة كاذبة، وردَّة، وهرطقة خارجة على المسيحية!

ويلاحظ أن هذه الصورة للإسلام ورسوله تكاد تتطابق مع صورة المسيح والمسيحية كما صورها التلمود! كأنهم رفعوا اسم المسيح ووضعوا اسم محمد مكانه، ورفعوا لفظ المسيحية ووضعوا لفظ الإسلام محله!! والظاهر أنهم كانوا عاجزين عن إيجاد افتراءات شنيعة تشبع حقدهم على الإسلام ورسوله، فنقلوا افتراءات التلمود على المسيح والمسيحية! (انظر صورة المسيح في التلمود).

وكتب الدكتور عبد الرحمن بدوي كتابًا عن: "دفاع عن القرآن ضدَّ منتقديه" انتهى فيه إلى توكيد **"أن القرآن يخرج دائمًا منتصرًا على منتقديه"**[1].

وبحث الأستاذ الكبير مسألة نقل القرآن الكريم عن التوراة والإنجيل، (وكان غرض المستشرقين منها إثبات أن النبي دعيٌّ وليس بنبي). ولقد حاول المستشرقون المعاصرون الكبار – من أجل ذلك – إثبات تشابه بعض الألفاظ القرآنية بألفاظ توراتية، وعلّقَ بدوي قائلاً (بعد البحث والتدقيق) إن المستشرق "هيرشفيلد" أصيب بهذيان حين زعم وجود تشابه![2].

والنتيجة نفسها وصل إليها بدوي بعد مناقشة آراء "هوروفيتس" (١٨٧٣ – ١٩٣١م) وقال عنه بدوي – بحق – إنه أستاذ الضلال![3].

إذن محاولات تشويه صورة الإسلام ورسوله لا تزال تجري في جميع المجالات، في الجامعات والإعلام و"النت" والمجلات والصحف والسينما والمسرح.

ومعظم تلك الشبهات ترديد لشبهات قديمة أثارها المستشرقون اليهود

---

(١) المقدمة؛ ص ١٦. (٢) نفسه؛ ص ٣٠. (٣) نفسه؛ ص ٤٣.

والنصارى على امتداد القرون، وبعضها موروث عن الكهنة والقساوسة الذين ساءهم تحول الملايين من اليهود والنصارى إلى الإسلام في الشام ومصر وشمال إفريقية، والأندلس، وبعضهم شهد احتلال المسلمين للأراضي الشاسعة من أملاك الدولة الرومانية، وبعضهم عاش في ظل الحكم الإسلامي لعاصمة تلك الدولة، أعني القسطنطينية، وهذا كله يدرسه الغربيون في مدارسهم ويصبح عقائد راسخة عندهم.

وكما ذكرت غير مرة يزيد من غيظ الأوروبيين اليوم وجود **أعداد كبيرة من المسلمين** الذين هاجروا إلى الغرب واستوطنوه، وحافظوا على إسلامهم، بل شكلوا المنظمات العديدة للدعوة إلى الإسلام، ونجحوا في اجتذاب أعداد هائلة من الغربيين إلى اعتناق الإسلام، ومن بينهم عدد كبير من النخبة المثقفة ذاتها، حتى أن بعض الغربيين أخذ يتحدث عن "أسلمة أوروبا!" وعن "جرمانستان"! وهواجس أخرى من هذا القبيل!

فالشبهات التي تتردد في الإعلام الغربي **أصداء لذلك التراث** الطويل المتراكم من السباب والتجريح والرفض العشوائي.

وبصفة عامة، يتسم التراث الاستشراقي بالزيف والتحامل والبطلان، لأنه ليس علمًا موضوعيًّا، وأما أصداؤه في الإعلام فهي هراء مبتذل، وافتراءات حاقدة فارغة من الحقائق.

وفيما يلي أمثلة لتلك الشبهات التي جاءت في مقال بعنوان:

" "Islam: A Critical Review للمدعو " "Steve Omega نشر على "النت".

قال الكاتب الذي لم يعرف عمله أو مؤهلاته: "**إن محمدًا نقل القرآن** عن

اليهود. **وأمه آمنة قالت إن ولدها يملكه شيطان**، والإسلام يستهين بحياة البشر. وقد فرخ الانتحاريين الذين يعدهم القرآن بالجنة، الإسلام يقضي بأن كل من ليس بمسلم يستحق القتل، "الله" ليس الاسم الصحيح للرب، الله لا يستطيع أن يتخذ ولداً، العنصرية جزء من الإسلام، الحج تقليد وثني، المسلمون يؤمنون بثلاثة آلهة، القرآن **يحرم التفكير الحر**، الإسلام يعتبر البشر جميعًا عبيداً، كان في الحجاز **٣٦٠** إله، **فاختار منها محمد إله قبيلته**، القرآن من إملاء الشيطان، **القرآن يخلو من الحكمة!!**

وأحسب أن القارئ الذي يملك أقل معرفة بسيرة النبي يشاركني الرأي بأن هذه الافتراءات لا تستحق الرد... إنها ليست شبهات، لأن الشبهة يكون لها مستند ما، فهل يوجد سند لما زعموا أنَّ آمنة قالت إن ولدها يملكه شيطان؟ وهل يوجد سند للزعم بأن النبي اختار إله قبيلته من بين ٣٦٠ إلهًا كانت موجودة في الحجاز؟ وهل توجد شبهة سند لزعمه بأن المسلمين يعبدون ثلاثة آلهة؟!

لقد كان المستشرقون دائمًا متحاملين ومضللين، لكنهم كانوا – غالبًا – دارسين للعربية والإسلام، ولذلك كانت آراؤهم شبهات تستحق الرد والتفنيد، أما هذا الهراء الذي تطفح به وسائل الإعلام الغربية اليوم فهو خرافات وخزعبلات، لكن من المؤسف أن الغربيين العاديين لا يعرفون عن الإسلام إلا أقل القليل، وذلك هو ما يسمح بقبول تلك الخرافات لديهم.

قضية المرأة: مدخل آخر للتهجم على الإسلام

ولقد أسهم المرتدون من أبناء المسلمين في الحملات الإعلامية على الإسلام ورسوله، وقبضوا الجوائز من دوائر إعلامية وثقافية أوربية وأمريكية. وكان من بين أولئك المرتدين امرأة إيرانية تدعى فاطمة غوشة، وتنتمي إلى العلمانيين المتطرفين.

في فبراير سنة ٢٠٠٢عرضت "غوشة" ثلاث لوحات تهاجم فيها الإسلام، وتردد مزاعم الغربيين القائلة إن الإسلام يضطهد المرأة لأنه يعطيها نصف نصيب الذكر.

وعرضت "غوشة" لوحة أخرى في قاعة "ليليا فالسن"، تصور امرأة حاملاً معلقة على مشنقة، ولها جناحان ينزفان دماً، وفي خلفية المنظر يظهر عدد من المساجد، وهي تريد بذلك أن تحتج على حد الزنا، لكنها لم تلتزم الحقائق الشرعية التي تحرم تطبيق الحد على الزانية الحامل، وتؤجله إلى أن تلد وترضع ولدها، هذا فضلاً عن أن هذا الحد لا يطبق إلا بعد الاعتراف، أو شهادة أربعة شهود.

ولن نطرح مسألة الإباحية التي أحالت البلاد الغربية إلى ماخور كبير، وصرفت الشباب عن الزواج والإنجاب وتكوين الأسر، الأمر الذي أدى إلى انكماش عدد السكان في المجتمعات الغربية، وما يترتب عليه من آثار سلبية في كافة المجالات.

وأما مسألة الميراث فقد قتلت بحثاً بعد أن صارت ألعوبة لدى الإعلاميين، ورد المسلمون على "غوشة" وأمثالها فقالوا إن الذكر ينال ضعف نصيب الأنثى لأنه في نظام الأسرة الإسلامي الرجل هو المكلف شرعاً بالإنفاق على أسرته: الزوجة والأولاد، وليس على الزوجة أية مسئوليات مالية نحو زوجها؛ اللهم إلا إذا تبرعت بشيء عن طيب خاطر.

هذه هي الحقائق، لكن الدعاية، والسعي لنيل مرضاة المعادين للإسلام ونبيه الكريم ﷺ، لا تقف عند حقيقة ولا تتقيد بمنهج، ولا يهمها أن تحشو أذهان الناس بالأكاذيب، وفي البلاد الغربية ربما لا تجد "غوشة" وأمثالها العالم المسلم الذي يكشف أكاذيبها، فهي مطمئنة من النقد العلمي الصارم الذي يفضح أكاذيبها على الجماهير، ولهذا عادت إلى مهاجمة الإسلام فرسمت شكلاً على هيئة مقصلة (يذكر المشاهدين بالقرآن الكريم!) يستخدمها رجال دين مسلمون في إعدام امرأة، وهي تعلم أن السويد تحرم الإعدام، ومن ثم تبغي إثارة كراهية الجماهير للإسلام والقرآن!

ومعلوم أن عقوبة الإعدام تطبق على الرجال والنساء، في بلاد المسلمين وفي بلاد غير المسلمين، وقد أجازتها التوراة قبل أن يجيزها القرآن كعقوبة عادلة على جريمة

obeikandl.com

كبرى، بل أمرت به التوراة على من ضرب أباه أو أمه أو عمل يوم السبت! وفي ذلك إفراط في القسوة لا يرضاه الآباء والأمهات.

ومضت المرأة المرتدة في رسوماتها المعادية للإسلام، فرسمت امرأة وقد تسلل رجل مسلم تحت عباءتها لإغوائها على الفحشاء، وهي تستغيث للفكاك منه، ونسيت الرسامة المرتدة أن الغرب قد أزال عن الفحشاء كل سمات الإثم، فلم تعد العلاقات الجنسية "الحرة" موضع لوم أو نقد، لكن الجماهير الكارهة للإسلام تشجع "غوشة" وأمثالها بصرف النظر عن رداءة رسومها وتحاملها العدواني على الإسلام والمسلمين.

هذه الرسوم ليس لها صلة بحقيقة وضع المرأة المسلمة في المجتمع المسلم.

في حكم الإسلام المرأة هي شريكة الرجل في تكوين الأسرة، وتربية الأولاد الصالحين، والزوجة سكن للرجل، كما أن الرجل سكن للمرأة، فيقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم: ٢١] على هذه الأسس النبيلة، ومن أجل هذه الغايات الرفيعة تتأسس الأسرة المسلمة السليمة التي يبنى منها وعليها المجتمع الإسلامي الإنساني الراقي السعيد، وهذه الأسرة هي وحدها القادرة على تفريخ أجيال من الرجال والنساء الذين يواصلون إحياء المجتمع، واستمرار الحياة البشرية، وإعمار الكون.

والزوج، هو المسئول عن إعالة أسرته، من السكن والطعام واللباس، وسائر الاحتياجات المعيشية. ولذلك قلده الإسلام دور الراعي والمرشد والمربي، والقائد لأسرته، فقال الله تعالى ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ [النساء: ٣٤] والزوجة شريكة الرجل في القوامة على الأولاد وتربيتهم، والشورى منهج واجب الاتباع، فيقول الحق تبارك وتعالى في توجيه

الزوجين ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا . . .﴾ [البقرة: ٢٣٣] ففطام الرضيع يتم بالتشاور والتراضي، لا بالاستبداد برأي الأب أو الأم، وهذه هي – بصفة عامة – القاعدة الذهبية في الحياة الإسلامية، حقًّا الزوج هو الذي ينفق، ومن ثم يجب أن تكون له القيادة، لكن هذا لا يعني الانفراد بالقرار، وإنما اتخاذ القرار بعد التشاور والتراضي، وبهذا تتحقق السكينة والمودة والرحمة للأسرة كلها.

والأخلاقيات الحاكمة لعلاقة الرجال بالنساء تسمى في الإسلام "**أخلاقيات العفاف والستر**". وفي هذا يقول الأستاذ المودودي: "الصيغة المشروعة لعلاقة الرجل والمرأة في حكم الإسلام هي الزواج الذي ينهض فيه الزوجان بالمسئوليات الاجتماعية على أتم وجه ممكن والذي يسفر عن ظهور أسرة، ولا يغفر الإسلام لأحد الانحلال الجنسي والسلوك الشائن الذي قد ينظر إليه في مجتمع غير مسلم على أنه متعة بريئة أو إثم عادي يسير"(١).

هنا يشير المودودي إلى المجتمعات الغربية التي استحلت ضروب الفحشاء: من الزنا واللواط، وزنا المحارم، ولهذا أعلن الكبراء في الغرب دون حياء عن ممارساتهم الآثمة، وأحسب أن الغربيين قبل غيرهم يذكرون إعلان الأمير تشارلز عن علاقته الآثمة مع المدعوة كاميلا باركر، والتي تزوجها أخيراً، وكذلك يذكر العالم كله إعلان الأميرة ديانا عن مغامراتها الآثمة، وبعد مقتلها رفعها الإعلام الغربي إلى درجة الملاك! وكانت فضيحة "كلينتون" رئيس أمريكا الأسبق الشغل الشاغل للغرب حوالي عام.

ولم يكن أمراء بريطانيا وحدهم هم الذين مارسوا الفحشاء وجاهروا بها، بل شاركهم أمراء وزعماء أوربيون وأمريكيون ورجال دين في ذلك.

---

(١) منهج الحياة الإسلامية؛ ص ٥٨.

obeikandl.com

وكانت المرأة مجرد متاع رخيص في تلك الممارسات.

وصعدت نسبة أبناء السفاح فبلغت ٥٠٪ في دول شمال أوربا، وكل ولد من سفاح مشكلة لأمه، ولذلك لجأت نساء كثيرات إلى الإجهاض بعد فشل أقراص منع الحمل، وتذكر الصحف الأمريكية أن مليون عملية إجهاض تتم في الولايات المتحدة سنويًا، وربما دخل الأجنة في تجارة نقل الأعضاء!

ومع شيوع الفحشاء لم يعد الأزواج على يقين من أن أولادهم هم حقًا أولادهم! لأن الخيانة الزوجية صارت سلوكاً عاديًا لدى الأغلبية، وقد بلغت نسبة الزوجات الخائنات لأزواجهن ٥٢٪ في السويد، وخيانة الأزواج بلغت أرقاماً فلكية!! ولا تختلف الدول الغربية الأخرى عن السويد إلا قليلاً.

وبلغ حجم التجارة في البغاء في أوربا ١٣ مليار دولار سنويًا.

وتتعرض النساء للاغتصاب؛ وتزداد الحالات عاماً بعد عام[١].

لا يريد الإسلام للمرأة هذه المهانة، ولا ترضى النساء ولا الرجال اقتباس "إباحة الاستباحة permissive cornucopia" وما تجلبه من كوارث على المجتمع البشري. والإسلام ييسر الزواج إلى أقصى حد ممكن، وفي الوقت نفسه يحرم الزنا ويعاقب عليه أشد عقوبة، فيقول الله تعالى ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النور: ٢] هذا إذا كانا غير محصنين؛ أما إن كانا محصنين فالعقوبة هي الرجم حتى الموت، لكن هذه العقوبة لا تطبق إلا بالاعتراف أو شهادة أربعة شهداء، وهذه الشروط جعلت العقوبة ردعية زجرية فقط، وفي المملكة العربية السعودية التي تطبق الشريعة، لا يُرجم كل عام إلا حالات نادرة جدًا، لاستحالة تحقق الشروط.

---

(١) راجع كتابي: البديل الأمريكي للإسلام؛ ص ٤٧ - ٧٠.

ومن أجل تنظيف المجتمع المسلم من الفحشاء وضمان الطهارة والعفاف لأكبر عدد ممكن من النساء والرجال، منع الإسلام الخلوة بين الرجال والنساء الأجنبيات، وحرَّم التبرج، وأحل تعدد الزوجات، وأباح الطلاق، والخُلع، لكيلا تعيش المرأة مقهورة مع زوج تكرهه، وشرَّع الإسلام من التدابير الوقائية ما يجعل الفنون والآداب والموسيقى وسائل للرقي بالإنسان، وليست أداة للهدم والغواية، وزادت مسئوليات العالم كله اليوم لضبط الفضائيات لصالح البشرية جمعاء، وعلى الدول المسلمة أن تنادي بترقية البث الفضائي لتكوين المجتمع البشري النظيف لا أن تنغمس فى الأوحال!.

الرؤية الصحيحة

ولتصحيح الصورة الغربية للإسلام ورسوله يجب أن نذكر - أولاً - أن علماء وزعماء وكتاباً أحراراً في الغرب رفضوا تلك الصورة الشائهة المختلقة للإسلام ورسوله، وبحثوا ودققوا، وعرفوا أن محمداً ﷺ نبي صادق، وأن الإسلام دين صدق وحق. (وقد رأينا في هذه الدراسة الدين الحق في مقابل الدين الباطل). فهذا "كارلايل" يقول إنه اختار محمداً لدور البطل، وأنه ينظر إليه كزعيم ديني عظيم قاد البشر إلى الله العلي القدير"[1] وفي خِضَم الثورة ضد المسلمين بعد ٢٠٠١/٩/١١ سافرت "كارين أرمسترونج" إلى الولايات المتحدة الأمريكية لكي تقدّم الصورة الصحيحة للإسلام، في محاضرات عديدة ألقتها في عواصم الولايات المختلفة، وهذا الدكتور "مراد هوفمان" الذي كان سفيراً لألمانيا في المغرب يكتب عن الإسلام عدة كتب، ويطير عبر أوروبا وأمريكا آلاف الأميال لكي يقدّم الصورة الصحيحة عن الإسلام، بغية إحلال الاحترام بدلاً من الكراهية، وتمهيد التربة لقيام

---

(١) الدكتور ماهر حمادة؛ السابق؛ ص ١٢٣ .

obeikandl.com

علاقات طيبة بين المسلمين والغربيين [1] وكان محمد أسد، وهو مفكر ألماني مرموق قد سبق هوفمان بربع قرن تقريبًا، قد قدّم الإسلام إلى الغربيين، واعتنق الإسلام، وعاش بين المسلمين، وصار واحداً من كبار المفكرين المسلمين، رحمه الله.

ولقد قدَّمْتُ فيما سبق من فصول هذه الدراسة الكثير من الحقائق عن النبي ﷺ وعن الإسلام، لكنها لا تكفي لبيان الصورة الصحيحة الكاملة لذلك النبي الكريم ولدينه العظيم، ولذلك سأحاول تقديم المزيد من الحقائق لتوضيح الصورة في خطوطها العامة، لإشباع رغبات القراء الحريصين على المعرفة الصحيحة من المسلمين ومن غير المسلمين على السواء، ولَدَيَّ اقتناع بأن كل الافتراءات التي تخيم على الناس في الغرب خاصةً لن تمنع قطاعات واسعة من المثقفين من إدراك زيفها، ومن ثمَّ تدفعهم إلى البحث عن الحقائق، وعلينا أن نتوجه إلى تلك القطاعات بحقائق الإسلام، بكل وسائل الاتصال الممكنة، ودون كللٍ أو ملل، والعقلية الغربية تأسرها الحقائق وتجذبها الموضوعية والمنهجية، فليكن هذا طريقنا إليها.

* * *

(١) من هذه الكتب: يوميات ألماني مسلم، والإسلام في الألفية الثالثة - ديانة في صعود، والإسلام كبديل، والطريق إلى مكة.

obeikandl.com

أَلِفْ: العقائـــد

الوحي: المرجعية العليا للإسلام

إن أهم مكونات الرؤية الصحيحة للإسلام **أنّ الوحْي هو المرجعية العليا لعقائده وتشريعاته وأخلاقياته.** ولقد جاء جبريل عليه السلام بالوحي من عند الله، وتلقاه محمد ﷺ، وحفظه المسلمون في المصاحف دون زيادة أو نقصان.

والله تعالى يأمر النبي والمسلمين باتباع الوحي، فيقول عز وجل: ﴿ **اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** ﴾ [الأعراف: ٣] ويتوعد سبحانه وتعالى من لم يحكم بما أنزل الله ويقول: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة: ٤٤].

والمؤمنون عرفوا القرآن من النبي ﷺ. فهو الذي يبلغ القرآن عن ربه، ويشرحه للمؤمنين، ولهذا قال النبي ﷺ: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله"(١) والرسول هو الذي يحكم فيما يشجر بين المؤمنين لقول الله تعالى: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥] وبعد وفاة النبي صار الحكم للقرآن والسُّنة.

بهذه الآيات وغيرها صارت سُنَّة الرسول ﷺ المكون الثاني في المرجعية العليا للإسلام.

والقرآن والسنَّة لا يتناقضان مع المعارف العقلية والعلمية، وإذا حدث تعارض

---

(١) ابن ماجه؛ حديث رقم ٣.

فإما أن تكون المعلومة العلمية خاطئة، وإما أن يكون النص القرآني قد أسيئ تفسيره، وإما أن يكون الحديث موضوعًا.

ولا يغطي القرآن والسنَّة كل تفاصيل الحياة البشرية، فثمة قطاعًا واسعًا غير خاضع لأحكامهما لأنه لا توجد لمسائله أحكام، وهذا هو المجال الواسع للعقل والتجربة، للإبداع فيه؛ وهو ما يسمى مجال "العفو" أو "ما لا نص فيه". وسوف أفصِّل القول فيه بعد قليل.

وللعقل مجالاته المشروعة، لكنه ممنوع من مجالات أخرى، وقد صوّر الإمام الشافعي هذه الحقيقة بقوله: "إنّ للعقلِ حدًّا ينتهي إليه كما أنّ للبصرِ حدًّا ينتهي إليه"(١) وهذه الحقيقة هي التي توصل إليها "كانط Kant " فيلسوف ألمانيا الأكبر، في كتابه الشهير: "نقد العقل المحض"(٢).

وفي القرن الماضي حاول بعض أبناء المسلمين المتأثرين بالفلاسفة الماديين الغربيين تنحية الوحي كمرجع لحياة المسلمين والاعتماد كلية على التجربة الحسية والجهد العقلي، الأمر الذي أحدث شرخًا هائلاً في المجتمعات المسلمة، وانتهى إلى أن صار المجتمع المسلم هجينًا من أحكام الوحي ونظريات البشر، وانشطرت الشعوب المسلمة إلى إسلاميين يصرّون على أن تكون السيادة للوحي، وإلى علمانيين ماديين يسعون إلى أن تكونَ الكلمة العليا للتجربة والعقل، ولا يزال هذا الانشطار يعمل عمله التخريبي في حياة الأمة المسلمة، ويسبب صدامات فكرية وثقافية، وعسكرية أحيانًا، ويقف الغرب دائمًا مع الماديّين.

المشكلة الكبرى: الثوابت الإسلامية

إن الوحي كما هو معلوم للجميع عبارة عن نصوص قرآنية وحديثية ثابتة.

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه؛ ص ٢٧١ .

(2) Critique of Pure Reason; pp. 249 - 281

obeikandl.com

والحياة تتغير من عصر إلى عصر، وقد وقعت تطورات هائلة في حياة البشر في العصر الحديث خاصة، وظن بعض الغربيين أن من الضروري للإسلام أن يتطور، وإلا كان مصيره الفناء، وانبهر عدد من أبناء المسلمين بفكرة التطور، وحملوا على الثوابت الإسلامية حملات عنيفة متواصلة ووصفوها بالتحجر والجمود، وطالبوا بتجاوزها، وإغفال النصوص القرآنية والحديثية التي تفرضها، والاكتفاء بـ"جوهر" الوحي، أو روح "النصوص"! وهكذا تعرضت المرجعية العليا للإسلام للنقد والاعتراض والرفض من قبل أعداد من النخبة الثقافية وقادة الفكر على مستوى العالم الإسلامي. وقد واجههم المفكرون الإسلاميون بالرفض، ودافعوا عن "الوحي" – وهو القرآن والسُّنة – وبذلك اشتعل الصدام الفكري بين الفريقين، ولا يزال إلى اليوم مشتعلاً.

تبنى دعاة التطور الثقافة الأوربية، بوصفها المثل الأعلى في مجالات الفكر والعمل، وبغيرها لن يكون للإسلام مستقبل، بحسب تعبير المستشرق الإنجليزي الكبير هاملتون جيب Gibb.

والمثال الصارخ لنبذ الثوابت الإسلامية هو الدكتور زكي نجيب محمود، أستاذ الفلسفة والكاتب الشهير الراحل، فهو يرى أن عصرنا هذا هو عصر النسبية – أي التغير والتطور المتواصل في كل شيء، ويقول: "إن نظرة العصر تحيل كل قيمة إلى وجهة نظر ذاتية". ثم يقول: "ولقد وجدنا عصرنا متميزاً بالنظرة النسبية التي ترفض المطلقات (وهي الثوابت) حتى في المجال العلمي الدقيق نفسه، بَلْه أن يرفضها فيما هو نسبي بطبيعته كالقيم، فقبلنا النسبية في الفيزياء وما إليها، لكننا تشبثنا بالقيم المطلقة الموضوعية التي تزعم أنها حقائق أزلية لا سبيل إلى الاختلاف عليها بين إنسان وإنسان"(١).

---

(١) ثقافتنا في مواجهة العصر؛ سنة ١٩٧٩؛ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

obeikandl.com

وتبعًا لهذا الرأي لم يجد مسوغًا للثوابت الإسلامية العقدية أو العملية. لكن الفلسفة الغربية المعاصرة اتخذت وجهة مناقضة للوجهة النسبية التطورية، وهي التي تسمى المذهب المطلق Absolutism، أو مذهب الثبات، وجاء "كانط" على رأس هذا المذهب. (١) وتابع "كانط" فلاسفة كبار من أمثال "سيدجويك" و"بتلر" و"مور". لكن نيكولاي هارتمن هو الذي أكد أن الثوابت موجودة في مجالات العلوم والأخلاق، وأنها مثل البدهيات الرياضية في ثباتها (٢). فالعدالة، والوفاء بالعهد، وبر الجار، قيم أخلاقية إيجابية، خالدة مطلقة، ثابتة، ويستحيل أن تتحول إلى قيم سلبية، أو تتطور أو تعدل.

والعدالة هي روح التشريع، بمعنى أن كل قانون يجب أن يكون عادلاً لكي ينال احترام البشر، سواء في الإسلام أو في غيره من النظم والشرائع، وليس بوسع أنصار التطور أن يثبتوا أن العدالة بالمعنى الإسلامي يجب تطويرها أو تغييرها. إنها تنص على أن "**لكل عامل ثمرة عمله، وعلى كل مخطئ تبعة أخطائه**"، فهل يمكن أن يقال: إن لكل عامل بعض ثمرة عمله؟ إن هذا هو ما حاولت الماركسية تحقيقه، فكانت النتائج خراب المعسكر الشرقي الشيوعي وانهياره، وهل يمكن أن يقال: إن المخطئ لا يتحمل تبعة أخطائه، بل يتحملها شخص آخر؟!

وصفوة القول إذن إن ثوابت الشريعة تلقى التأييد من العقل البشري الذي يتمثل في المذاهب المطلقة، هذا فضلاً عن النصوص الدينية التي يؤمن بها المسلمون والتي تؤكد الثوابت الشرعية في مجال القانون والأخلاق.

وهذا الثبات لا ينفي التطور نفيًا باتًّا. فاختراع وسيلة نقل جديدة عمل مشروع ومطلوب؛ لأنه يوفر الجهد والوقت للناس، واختراع مادة كيميائية لمعالجة مُلوحة الأرض الزراعية تطور محمود ومرغوب، ولا يتعارض مع الثوابت الإسلامية.

---

(1) Brehier (Emile); Histoire de la Philosophe; vol 2; p.551

(2) Hartmann (Nicolai); Ethics; vol. 1; p207

obeikandl.com

ولكن هل الزعم بالمساواة الكاملة بين الذكر والأنثى تطور مفيد؟ إن الاختلاف البيولوجي بينهما معروف للجميع؛ فليس لدى الذكور رحم ولا مبيض! ومن ثم لا يستطيع الذكر أن يحمل ويلد ويرضع، وليس لدى الإناث خصية تفرز الحيوانات المنوية. فالذكر والأنثى متمايزان ومتكاملان، ولا حياة لأحدهما دون الآخر، والادعاءات بمساواتهما المطلقة تسببت في ظهور مشكلات عديدة تعاني منها المجتمعات الغربية، وقد تحدث عن بعضها برزنسكي في كتابه الشهير Out of Control .

وهل الاعتراف بسلامة الممارسات الجنسية "الحرة" تطور مفيد من أي ناحية؟ إنه أدى إلى انتشار الفحشاء وزيادة مخيفة فى أعداد أبناء السفاح، وإلى انتشار الأُسر المثلية؛ وهي أُسر عقيمة بطبيعتها، وبذلك أسهم في تفاقم مشكلة الانكماش السكاني في البلاد الغربية.

إن أعداء الثبات يخلطون خلطًا مشينًا بين معاني التطور الحقيقي والتطور الزائف.

وفي العالم الإسلامي يخلط أعداء الثوابت الإسلامية بين تطور المعرفة لدى العلماء والفقهاء وبين تطور الثوابت، ويخلطون بصفة عامة بين "الحقيقة" و"المعرفة". و"**الحقيقة" ثابتة، لكن المعرفة متغيرة**، فمن ذلك زعمهم أن الثوابت تغيرت لدى الإمام الشافعي بعد إقامته بمصر، والحق أنه ازداد علمًا ونضجًا وتحصيلاً، فيصح القول إن معرفته بالإسلام تطورت، لكن لا يجوز القول إن الإسلام ذاته تغير أو إن بعض الثوابت تغيرت.

ويصنف الإمام الشاطبي رحمه الله أعمال المكلفين إلى: أفعال أقرها الدليل الشرعي، أو نفاها: "ومعنى ذلك أن يكون الشرع أمر بها إيجابيًّا أو ندبًا، أو نَهى عنها كراهة أو تحريمًا، أو أذن فيها فعلاً وتركًا". وهذه هي الثوابت الإسلامية[1].

---

(١) الموافقات؛ ٢ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

obeikandl.com

وفي الشريعة الإسلامية: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج، وصيام رمضان، وبر الوالدين، والوفاء بالعهود، والجهاد في سبيل الله، وقول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من الثوابت التي تستند إلى نصوص قرآنية وحديثية قطعية، وفي المقابل نجد المحرمات: الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور، وشرب الخمر، والميسر والأزلام والأنصاب، وقطيعة الرحم، والفرار يوم الزحف، وأكل أموال الناس بالباطل، والزنا واللواط وقذف المحصنات، من الثوابت المستندة إلى نصوص قطعية في القرآن والحديث.

وفي الشريعة الإسلامية يستند العلماء إلى "المصالح" في الحكم على أعمال عديدة في مجالات شتى، لأنها لم تكن ضمن الأعمال التي تحكمها نصوص، ولذلك تسمى "العفو" أو "ما لا نص فيه". وهذا المجال الواسع هو مجال التغيير والتطوير. وهكذا يزول خطر الجمود والتحجر. وفي العصر الحديث نظم المسلمون مجالات واسعة للصناعة والتجارة والزراعة والتعليم والصحة وتشييد المدن والاتصالات والإعلام، على أساس المصالح، ولم تقف الثوابت حجر عثرة أمام التطوير والتغيير.

وفي هذا يقول ابن القيم إن هذا (أي الاستناد إلى المصالح): "موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام .. فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيقوا الحقوق، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد .."[1] وهذا حق، ولنتخيل كيف يكون الحال إذا صمم الفقهاء على تنظيم الدورات الرياضية – مثلاً – استناداً إلى نصوص من القرآن أو السنة! أو تنظيم الإدارات الطبية والهندسية؟! عندئذ سيقول الجهال إن الشريعة لا تقوم بمصالح العباد، ولا بد من الخروج عليها لتحقيق تلك المصالح! وهذا يعني تجاوز الوحي المرجعية العليا للإسلام.

---

(١) إعلام الموقعين: ٤ / ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

وقد اتفق العلماء المسلمون الكبار: "على أن المصلحة معتبرة في الفقه الإسلامي، وأن كل مصلحة يجب الأخذ بها ما دامت: ليست شهوة ولا هوى، ولا معارضة فيها للنصوص تكون مناهضة لمقاصد الشرع"(١) والإمام مالك الذي حمل لواء الأخذ بالمصالح، اشترط لصحتها: "الملاءمة بين المصلحة التي تعتبر أصلاً قائمًا بذاته وبين مقاصد الشارع، فلا تنافي أصلاً من أصوله، ولا تعارض دليلاً من أدلته القطعية"(٢).

إذن مجال التغيير واسع جدًّا، لكنه منضبط وليس سائبًا، ولا منفلتًا، وذلك حتى لا يتورط المسلمون في الانفلات من أحكام الشريعة الثابتة، والقضاء على خلودها، وإحلال النسبية السوفسطائية محل الثوابت الشرعية، وهو يعني الخروج من الإسلام، وذلك هو ما دعا إليه دعاة "التغريب" و"مسايرة" الغرب في كل شيء، في الفكر والعمل والأزياء والعمارة واللغة والتقويم، وأصناف الطعام وطريقة تناوله! بصرف النظر عما يقوله "الوحي" في الكتاب والسُّنة!

والحق أن محاولات الانفلات من الثوابت الإسلامية قديمة، وقد زعم أحدهم أن الخمر حلال للمؤمنين في عهد الفاروق عمر بن الخطاب، لكن عهود الاحتلال الغربي للبلاد المسلمة شهد جهودًا جبارة لتنصير المسلمين، ونجحت البعثات التنصيرية في آسيا وإفريقيا في تنصير أعداد كبيرة من أبناء المسلمين، لكنها فشلت في تنصير أعداد معتبرة من العرب، وتشكل تيار ينادي بالتغريب، ومسايرة الغرب في كل شيء، ونجح إلى حد كبير في بعض البلاد وإلى حد محدود في أخرى، وانتشرت الخمارات في العواصم والمدن المسلمة، وافتتحت بيوت للدعارة رسميًّا، وتأسست البنوك الربوية، وهذا كله هدم للثوابت الإسلامية، وانتهى بنا الأمر إلى ما يسمى

---

(١) محمد أبو زهرة؛ أصول الفقه؛ ص ٢٨٣.

(٢) نفسه؛ ص ٢٧٩.

بتطوير الخطاب الديني، ومعناه تطوير الإسلام، وجوهر التطوير هو تخطي الثوابت الإسلامية وإحلال الثقافة الغربية محلها.

وكان الأستاذ الإمام محمد عبده (توفي سنة ١٩٠٥م) قد تصدى لتيار التغريب، وقال إن إصلاح أحوال الأمة: "يتم إذا سلك قادتها سبيل التربية والتثقيف، لا سبيل تقليد الغرب من غير فهم ولا إدراك عميق، أو التمسك بظواهر المدنية المادية مع الغفلة عن صميم المدنية الروحية"(١) ولقد وضع شروطًا للبس البرنيطة بدلاً من الطاقية أو العمامة، فأجاز ذلك: "إذا لم يقصد فاعله الخروج من الإسلام والدخول في دينٍ غيره"؛ "وإذا كان اللبس لحاجة من حجب الشمس أو دفع مضرة أو دفع مكروه، أو تيسير مصلحة"(٢).

ودعا الأستاذ الإمام إلى: "تحرير الفكر من التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى"(٣).

وهذا يعني واجب الالتزام بالوحي - بالكتاب والسنة - المرجعية العليا للإسلام عقيدة وشريعة: "فأمر الله في كتابه، وسُنة رسوله الثابتة القطعية التي جرى عليها ﷺ بالعمل، هما الأصل الذي لا يُرد، وما لا يوجد فيه نص عنهما ينظر فيه أولوا الأمر إذا كان من المصالح"(٤).

ومن الثوابت التي رفض الإمام انتهاكها: تحريم الربا.

فقد أنشأت الحكومة المصرية، وكانت حكومة علمانية - صندوق توفير البريد، وتأثم المسلمون من وضع أموالهم فيه بسبب أرباحه الربوية، واستفتوا الأستاذ

---

(١) رشيد رضا؛ تاريخ الأستاذ الإمام؛ ١ / ١٣٧.
(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده؛ ٣ / ١١٥.
(٣) مذكرات الإمام محمد عبده؛ نشر دار الهلال بالقاهرة؛ ص ١٨.
(٤) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده؛ ٥ / ٢٣٨، ٢٣٩.

الإمام: "هل توجد طريقة شرعية لجعل هذا الربح حلالاً؟ فأجاب بأن ذلك ممكن: "بمراعاة أحكام شركة المضاربة في استغلال النقود المودعة في الصندوق"(١).

ولقد ثارت مشكلة الربا منذ بضع سنوات، فلم تجد أستاذاً كبيراً مثل الإمام محمد عبده ليقول للناس كلمة الحق فيها، وللأسف وجدنا من يسعى إلى إثبات أن أرباح المصارف الحديثة حلال، ووجدنا من يهاجم المصارف الإسلامية، ويشكك المسلمين فيها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن الثوابت الإسلامية سندها الوحي، والتنصل منها معناه التنصل من الوحي – المرجعية العليا للإسلام – وهذا هدم للإسلام من أصوله وجذوره ذاتها، والحفاظ على الثوابت حفاظ على القرآن والسُّنة، ووصل وثيق بين المسلمين اليوم والمسلمين في عهد النبوة، والمتغيرات هي التي تستوعب الجديد في كل نواحي الحياة، وما الحديث عن التحجر والجمود إلا وسيلة مراوغة للانفلات من دين الله.

ولْينظر من شاء إلى الشعوب التي انفلتت من ضوابط الدين فاستباحت كل شيء، وهل سعد الناس بذلك حقًّا؟ هل صاروا أكثر إنسانية؟ هل أحب أحدهم جاره ومال إلى مساعدته؟ وهل تمتع الناس بالأمن على أنفسهم وعلى أموالهم وأعراضهم؟ وهل توثقت الروابط الأسرية ونعم الأزواج والأولاد بحياة مستقرة هادئة دافئة؟ وكيف حال المجتمع العلماني ككل؟ كيف حال النساء؟ وكيف حال العالم بأسره تحت القيادة العلمانية؟ كم من المليارات ينفق على التسليح؟ وكم ينفق على مرض الإيدز؟ وعلى إصلاح الأراضي لإطعام الملايين من الجياع في آسيا وأفريقيا؟

لنجب على هذه التساؤلات لكي نعرف قيمة الدين وثوابته ومتغيراته أيضاً.

وبعد الجمود والتحجر ننتقل إلى:

---

(١) الأعمال الكاملة: ١ / ٦٧٩.

obeikandl.com

يذكر الدكتور مراد هوفمان أن: "أكبر ضحايا التحريف في التاريخ هو رسول الإسلام"(١) وقد أصبح تشويه محمد تقليداً غربياً.

ولكن من بين آلاف المحرفين والمضللين، يخرج على العالم باحث نزيه يثبت أن مكانة محمد هي على رأس قائمة المائة شخصية الأكثر تأثيراً في تاريخ البشرية، لأنه الشخصية الوحيدة التي حققت نجاحًا هائلاً دينيًا ودنيويًا. ذلك الباحث النزيه هو "**مايكل هارت**" الذي ظهرت دراسته سنة ١٩٧٨ .

وكل ما يخص النبي ﷺ حُرِّف تحريفًا وقحًا! ويكفي أنهم حرفوا شهادة "لا إله إلا الله" وجعلوها "أشهد أن لا إله إلا محمد"!!!(٢) ونشرت مجلة "دي زايت "Die Zeit الألمانية بتاريخ ٢٦/٥/١٩٩٥ حكاية مهينة للإسلام ولرسوله ﷺ، فقالت: "لم يكن عند محمد ثلاجة، وكان يقضي حاجته أمام النساء، وكان يسكر بعد تناول كوبين من البيرة. هذا هو الإسلام كله"(٣) .

إلى هذا الحد بلغ بهم الفجور والهبوط والوقاحة والإسفاف!

ومن الجلي أن هذه الاتهامات مجرد افتراءات فاجرة لا سند لها، وكل من له إلمام يسير بسيرة محمد ﷺ يعلم يقينًا أنه كان مثلاً أعلى في الحياء، وقد رسم للمسلمين قواعد شرعية تسمَّى "أحكام التخلي" التي تكفل للمسلم الستر والبراءة من البول والغائط، وأما السُّكْر فقد طهر محمد أمته منه بعد أن كانت غارقة فيه، وصارت طهارة المجتمع المسلم خصيصة أساسية فيه، بقدر ما ظل السُّكر ومعاقرة الخمر داءً وبيلاً يشكو منه المسيحيون مُرَّ الشكوى بعد أن تحول إلى وباء مدمر بسبب نبذهم للدين واعتناقهم الإلحاد وانفلاتهم من القيم الأخلاقية.

---

(١) الإسلام كبديل؛ ص ١٥٥ . (٢) نفسه؛ ص ١٥٦ .
(٣) الدكتور مراد هوفمان؛ الإسلام في الألفية الثالثة - ديانة في صعود؛ ص ٨٤

إن مجلة "دي زايت" يجب أن تحاكم وتغلق أبوابها لأن ما نشرته تضليل فاضح وجهل مشين يجب وقاية الشعب الألماني منه.

وفي الولايات المتحدة تطاول قسيس أمريكي يدعى جيري فالويل على النبي ﷺ بأن وصفه بأنه: **إرهابي ودموي**، في حديث تليفزيوني، مع رزمة من السِّباب المشين، وهذا القسيس واحد ممن يتزعمون ما يسمى بحركة المسيحية الصهيونية، التي تمتلك وسائل إعلامية كبرى تروج لافتراءاته.

وقد أدانه مجلس الكنائس العالمي إدانة شديدة ووصفه بأنه مخرب وعدواني، ومجلس الكنائس يمثل ٣٢٤ كنيسة في مائة دولة، وكذلك اتخذ المجلس الوطني لكنائس المسيح في نيويورك – وهو يمثل ٣٦ كنيسة ينتسب إليها حوالي خمسين مليون أمريكي – موقفًا قويًّا رافضًا لإسفاف "فالويل" الأمر الذي أرغمه على سحب بذاءاته والاعتذار عنها.

وتهمة الإرهاب هي الشائعة اليوم في الغرب، وخاصة على لسان رئيس أمريكا جورج بوش السابق، وقد وحَّدوا بين الإرهاب والإسلام، بحيث يتاح للإعلام التهجم على الإسلام تحت قناع الإرهاب، ولكن "فالويل" لم يستخدم القناع وهاجم النبي ﷺ صراحة، مما أدى إلى احتجاجات واسعة للمسلمين الأمريكيين والمسلمين في العالم أجمع، في حين أن أمريكا بحاجة إلى تسكين المسلمين حتى تفرغ من حروبها الإمبراطورية في أفغانستان والعراق وفلسطين ولبنان. وبصفة عامة، تشجع السياسات الأمريكية الإعلام على مهاجمة الإسلام (= الإرهاب)، والغربيون عمومًا يتقبلون تلك التهجمات، فيشجعون الإعلاميين والسياسيين والفنانين على مواصلتها، ولذلك تكررت تهمة الإرهاب في الصحف الدانماركية والفرنسية، والأمريكية، فنشرت جريدة "تالاهاسي ديموقراسي" رسم شاحنة محملة بالمتفجرات، ويقودها سائق اسمه محمد! وعلقت على الرسم بقولها: إلى أين يا محمد؟ وكانت الرسوم الكاريكاتورية

obeikandl.com

الدانماركية هي أسوأ ما نشرته الصحف الغربية، وقد أثارت ضجة واسعة في العالم الإسلامي، وخلقت هُوة عميقة واسعة لا يمكن عبورها بيننا وبينهم.

وقبل أن نمضي قدمًا مع افتراءات وشبهات الإعلام الغربي **نتوقف عند تهمة الإرهاب.**

فبعد تدمير البرجين الشهيرين في نيويورك يوم ٢٠٠١/٩/١١ على أيدي مجموعة من الشباب المسلم، قامت قيامة أمريكا والغرب عامة ضد كل ما يمت للإسلام بصلة، وأعلن بوش الحرب على الإرهاب الإسلامي على مستوى العالم، وسخر كل إمكانات بلاده للقضاء عليه – على الإرهاب الذي وحَّدوا بينه وبين الإسلام، ورفضوا تعريفه لتمييزه من نضال الشعوب المقهورة تحت الاحتلال الأجنبي، واستفادت الصهيونية من ذلك الخلط المتعمد في حربها ضد المناضلين المطالبين بالحرية لبلادهم، وصار كل معارض لسياسة بوش الإمبراطورية إرهابيًّا، وقد ظهر بوضوح أن المعارضين للسياسات الإمبراطورية الأمريكية هم المسلمون، ففي كل مجتمع مسلم تقبَّل العلمانيون – غالبًا – السياسات الأمريكية، ووقف الإسلاميون ضدها، وذلك لأن الإسلام يغرس في قلب المسلم إرادة الاستقلال ورفض الخضوع للأجانب، وكان القرآن الكريم والسُّنة المحمدية هما مصدر الطاقة المحركة للقوى الإسلامية، ولم تكن هذه الحقيقة خافية على أحد، وهذا هو ما يفسر التهجمات الإعلامية الحادة المسفَّة على النبي محمد ﷺ: إنه إمام المسلمين المقاتلين ضد أطماع الأمريكيين في كل مكان، وقدوة المجاهدين في فلسطين ولبنان والعراق وإيران وأفغانستان وباكستان وفي كل بلاد المسلمين.

فهؤلاء المعارضون لأمريكا وإسرائيل إرهابيون وقائدهم الأول لابد أن يكون بطبيعة الحال إرهابيًّا، بل صار كل مسلم إرهابيًّا بحكم إسلامه الرافض للسياسات الإمبراطورية العدوانية، ورحَّبت الشعوب الغربية بتلك الحرب العالمية ضد كل ما هو

obeikandi.com

إسلامي، باستثناء فئات قليلة من الأحرار الحريصين على الحقائق، وعلى السلام العالمي وعلى العلاقات السلمية العادلة مع العالم الإسلامي.

وشجعت الحكومات الغربية كل من لديه كلمة تسيئ إلى محمد وإلى الإسلام. إنها حرب عالمية، ولا يجوز ادخار أي سلاح مهما كانت طبيعته اللاأخلاقية، فلابد من هزيمة الإسلام الذي بدأ ينتشر في أوروبا وأمريكا بسرعة مزعجة، **وكل هجوم على محمد هو هجوم على الإسلام، والعكس صحيح أيضاً**، والمهم هو صرف المسلمين وغير المسلمين عن هذه الرسالة، عن الإسلام وعن نبيه الكريم ، ونزع إرادة الاستقلال من قلوبهم.

وهذه الحقائق تتجسد في حكاية الكاتب الهندي المرتد سلمان رشدي، لقد ألَّف رواية ساقطة بالمعايير الأدبية والأخلاقية، لكنها لقيت حفاوة منقطعة النظير من جانب المسئولين والإعلاميين في أوربا وأمريكا لسبب واضح وبسيط وهو الكمية الهائلة من الافتراءات والتحريفات التي شوه بها سيرة رسول الله (وأهل بيته الشريف) ومنحته الأكاديمية السويدية جائزة نوبل للآداب، وقام الإعلام بالترويج للرواية بكل الطرق الممكنة.

ولم تتوقف حفلات التكريم لرشدي؛ وقد توَّجَها توني بلير رئيس وزراء بريطانيا السابق بإقامة حفل لتكريمه في منزله الريفي بمناسبة مرور تسعة أعوام على صدور فتوى الخميني بإهدار دمه، وأقيم الحفل في ١٤/٢/١٩٩٨ لإغاظة المسلمين، وتوكيد مساندة بريطانيا للحرب على الإسلام ورسوله وتحت غطاء رعاية حرية الرأي.

ودعا وزير خارجية بريطانيا إيران للتفاوض لإلغاء فتوى الخميني، لكن إيران رفضت وأكدت استمرار الفتوى، ولذلك أحيط الكاتب المرتد حيثما ذهب بحماية كثيفة، ولم يفلح أحد في قتله حتى اليوم، وواصل الإعلام تأييده الكامل له.

ووقعت اختلافات كثيرة بين المسلمين من مؤيد لقتل الكاتب، ومن معارض له. غير أن جميع المسلمين غضبوا للافتراءات الظالمة على نبيهم ودينهم، ومنعوا نشرها في بلادهم، وكانت الطبعة الأولى من الرواية قد أثارت المسلمين ثورة عارمة، وقد عبَّر بعضهم عن غضبه بتفجير عدد من مقار شركة "فايكنج بنجوين" التي نشرتها، ولهذا تنازلت الشركة عن حق نشرها في طبعة شعبية، لكن دار "فينتاج" للنشر أصدرت الطبعة الشعبية سنة ١٩٩٨ غير عابئة بمشاعر المسلمين، بل لنقُل: ابتغاء الإساءة إلى مشاعرهم، ولولا ترحيب القراء الغربيين المتحدثين بالإنجليزية لما نشرت الرواية الساقطة أصلاً، وهو ما عبر عنه الإعلام الغربي صراحة.

ولنتذكر أن كل هذه الأحداث وقعت قبل حادثة تدمير البرجين في ٢٠٠١/٩/١.

وفي سنة ٢٠٠٢ مُنح رشدي "جائزة لندن الدولية" السنوية التي يحدد الفائز بها عددٌ من الكُتاب البريطانيين، وهذا يدل على أن العداء للإسلام ولنبيه ﷺ يسيطر على القارئ البريطاني العادي وعلى النخبة الأدبية أيضًا.

وقد أفصح "دانيل بايبْس" محرر مجلة Middle East عن سبب تقدير الغرب لرشدي فقال إنه: تصدى للأصولية، وأظن أن ذلك الاقتناع الخاطئ هو الذي ضمن لرشدي التقدير الأدبي - بما في ذلك لقاء الرئيس السابق لأمريكا بيل كلينتون، فهي الحرب ضد الإسلام إذن، ورشدي أسهم في هذه الحرب، فكانت له الجوائز وحفلات التكريم. والحق أن رواية رشدي أسهمت في توعية الشعوب المسلمة بما يُحاك ضد دينهم ونبيهم، ولم تزدهم إلا تمسكًا به وتحفزًا للدفاع عنه، ولم نسمع أنها كانت سببًا في ردة مسلم واحد عن دينه، وإن لم يُعْن أحد بقياس آثارها الإيجابية والسلبية بين المسلمين، أما ترحيب المسيحيين بها فهو مسلك طبيعي بسبب

obeikandl.com

المواريث العدائية المتحكمة في توجهاتهم منذ الحروب الصليبية، وبسبب انتشار الإسلام حاليًا في بلادهم.

ولم يقتصر التكريم لرشدي وروايته على بريطانيا وأمريكا، ففي ١/١١/١٩٩٦ دعته وزارة الثقافة الدانماركية إلى "كوبنهاجن" ليتسلم جائزة أدبية. وفي ٣/٤/٢٠٠١ زار رشدي الرئيس التشيكي "فاسلاف هابل" بالقرب من المقر الرسمي للرئيس في "براغ"، وذلك بمناسبة المهرجان الحادي عشر للأدباء، وأحيط رشدي بحراسة مشددة طوال الزيارة خوفًا على حياته، وربما نتبين من هذا كله الخلفيات التي سمحت بالرسوم الكاريكاتورية سنة ٢٠٠٦ ومزقت علاقة الدانمارك بالعالم الإسلامي، ففي ذلك البلد بنية تحتية خصيبة للعداء للإسلام ورسوله، أظن أنها تمتد إلى الحروب الصليبية، (لأنها لم تسهم في الاستعمار الحديث كما هو معروف). يضاف إلى السبب الآخر المهم الذي تكررت الإشارة إليه وهو تمسك المسلمين المهاجرين بالإسلام وممارسة الدعوة إليه، ونجاحهم الكبير فيها، ورفضهم الاندماج في المجتمع بترك دينهم.

ويجب أن نتذكر أن الإعلام الغربي استقبل رواية رشدي بالثناء العطر، وروج لها، ولم تفته أية حركة تتصل بها، على الرغم من تواضع قيمتها الفنية، وقام بحملة هائلة ضد فتوى الخميني.

جائزة نوبل لمتعصب هندي

وعلى خُطى سلمان رشدي سار "فيد باهارد نايبول" الكاتب الهندوسي المتطرف، وفاز مثله بجائزة نوبل للآداب سنة ٢٠٠١. وإحقاقًا للحق نقول إن الإعلام السويدي رفض مسلك الأكاديمية السويدية، وقال نقيب الصحافيين السويديين "جان جيللو": "إن اختيار نايبول لجائزة نوبل في هذا الوقت بالتحديد هو اختيار بالغ التعاسة، خصوصًا في الظروف التي يعيشها العالم الآن. نعم، كان من الممكن منح

هذا الأديب جائزة نوبل منذ أربع سنوات، أما الآن فإن هذا الاختيار محزن للغاية. وما كان لنايبول ليحصل على الجائزة لولا أنه أعلن آراء عنصرية ضد الإسلام والعرب".

ولهذا الاختيار التعس تعرضت الأكاديمية السويدية لانتقادات عنيفة من كبار الكتاب المسلمين وغير المسلمين، باستثناء بعض الكتاب والصحافيين العرب العلمانيين المعادين للإسلام، وكان المرحوم الأستاذ رجاء النقاش أقوى النقاد الرافضين لاختيار الأكاديمية السويدية، حتى قال إنها: "لم تبرأ من الرشاوي والجاسوسية والإغواء الجنسي وفساد الضمائر والمصالح الأنانية والفردية".

ولكن لماذا هاجم نايبول الإسلام؟

لقد هاجم الإسلام وهو لا يدري عنه شيئًا! كل معلوماته مجرد انطباعات بعد زيارة بعض البلاد المسلمة الفقيرة، منها بنجلاديش وباكستان، ولم ير فيها غير نواحي القصور ومظاهر التخلف، واعتبر ذلك هو الإسلام!

ومن المؤكد أن هذه الحقائق كانت معروفة لأعضاء الأكاديمية، فإذا أعطوه الجائزة على الرغم من ذلك، حق لنا أن نصفهم بالتعصب الممقوت ضد الإسلام ورسوله ﷺ.

حتى المرتد سلمان رشدي أدان أعضاء الأكاديمية، وقال: "إن نايبول هندوسي متطرف يموِّل الهندوس المتطرفين بالأموال لبناء معبد "الملك رام" على أنقاض المسجد البابري الذي دمره المتعصبون الهندوس، وبذلك يساعد على إشعال حرب شعواء بين الهندوس والمسلمين"(١).

---

(١) جريدة الحياة الدولية، يوم ١٢/٣/٢٠٠٢.

obeikandl.com

توم لانتوس

وهذا عضو في الكونجرس الأمريكي عن الحزب الديموقراطي، وقد ألقى كلمة أمام المؤتمر السنوي لمنظمة "إيباك" اليهودية، وأراد أن يتملق أعضاءها الذين يمولون أعضاء الكونجرس أو يحجبوا عنهم التمويل، وبذلك يُنجحون من يشاءون ويسقطون من يشاءون، ولم يجد "لانتوس" كلامًا يقوله سوى موضوع صلح الحديبية الذي عُقد بين النبي ﷺ وبين مشركي مكة. ومن كلامه ندرك أنه لا يملك أي قدر من المعلومات الصحيحة عن ذلك الصلح.

قال "لانتوس" لا فُض فوه إن ذلك الصلح كان معاهدة غادرة! وهذه العبارة غير مفهومة، لكننا نستنتج أنه يقصد أن النبي ﷺ لم يحترم المعاهدة وأنه غدر بالمشركين! وقد وصف ياسر عرفات بأنه يقتدي بمحمد في الغدر بالصهاينة في فلسطين.

وهذا الكلام محزن حقًّا، فلم أكن أتصور أن يكون من بين أعضاء ذلك الكونجرس إنسان على هذا القدر من الجهل ومن الجسارة على الحقائق، والبجاحة والوقاحة التي تسمح له بالحديث عن نبي الإسلام دون أن يعرف شيئًا عما يتكلم عنه أو فيه!

والحق الذي لا ريب فيه أن تمسك النبي ﷺ بذلك العهد يُعد مثلاً أعلى لاحترام العهود، وقد سجل التاريخ كل المراحل التي انتهت بعقد الصلح، وسجل التاريخ أيضًا أن رجلاً من المسلمين اسمه "أبو جندل" طلب اللجوء إلى المسلمين فرارًا من اضطهاد المشركين له، فرفض النبي قبوله احترامًا لنص العقد، وقال له: " ... إنا لا نغدر بهم"(١) وجاء رجل آخر اسمه "أبو بصير" إلى المدينة يطلب اللجوء ويشكو

---

(١) سيرة ابن هشام؛ ٢ / ٣١٨.

الاضطهاد، فقال له النبي ﷺ: "يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمتَ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر"(١).

لكن قريشًا نقضت العقد بأن قتلت بعض رجال خزاعة شركاء النبي في ذلك الصلح، وبذلك سقط العقد؛ فتلك طبيعة العهود: إذا نقضها طرف، تحتم أن يتحلل منها الطرف الآخر.

واستنجدت خزاعة بالنبي ﷺ فأنجدها بأن فتح مكة في شهر رمضان المبارك سنة ٨ للهجرة، فأين الغدر هنا؟ هل هو غدر النبي أم غدر قريش؟

ومن المؤسف أن أحدًا لم يعارض "لانتوس"، ولم تعلق الصحف التي نشرت كلامه بما يصححه، ويحمي القراء من ضلالاته!

التوحيد: جوهر الإسلام

وعلى النقيض من الافتراءات التي زيفت الرؤية الغربية للإسلام، وعلى الأخص قول بعضهم إن المسلمين يعبدون ثلاثة آلهة (!!!)، يمثل التوحيد المنزه عن الشريك والمثيل جوهر الرؤية الصحيحة للإسلام، وقد نشأ عند المسلمين علم واسع عميق اسمه علم التوحيد.

ويتأكد التوحيد في عدد كبير من آيات القرآن الكريم، من ذلك قول الله تعالى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢] وقوله سبحانه ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣] وقوله جل جلاله ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويجادل القرآن المشركين جدالاً عقليًّا فيقول ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وهذا حق، فالتدبير المعجز للكون والنظام المدهش العجيب، لا يمكن أن يوجدا وأن يستمرا إذا تعددت الآلهة!!

---

(١) سيرة ابن هشام، ٢ / ٣٢٣.

ويلخص الإمام أبو الحسن الأشعري عقيدة التوحيد عند أهل السنة – أكبر طائفة مسلمة في العالم – فيقول: "جملة ما عليه أهل السُّنَّة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله.. **وأن الله سبحانه إلهٌ واحد فرد صمد لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً**، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور"(١).

وهذه العقائد الصحيحة تتناقض مع عقائد المسيحيين الذين آمنوا بالتثليث، وبأن الله تعالى اتخذ ولداً، كما تتناقض مع عقيدة التوراة التي تنفي البعث والحساب، وعلى الرغم من هذا يقول المفترون إن محمداً نقل القرآن عن التوراة والأناجيل!

عقيدة البعث بعد الموت

ومن أهم مكونات الرؤية الصحيحة للإسلام الإيمان بالبعث والنشور والحساب والجزاء والجنة والنار، وهذه العقيدة هي التي ترفضها التوراة، والتي يكفر بها الماديون المعاصرون، كما كفر بها الجاهليون العرب.

قال تعالى ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ** ﴾ [الحج: ٦، ٧] وقال تعالى أيضاً ﴿ **قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] وقال جل جلاله ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [غافر: ١٧].

وبحسب الرؤية التوراتية، لابد أن يكون الثواب والعقاب في هذه الحياة الدنيا. وهكذا ينهدم ركن ركين في الدين، فمن ذا الذى يستطيع أن يحيط بأعمال العباد، ويحاسبهم الحساب العادل؟ هل يعمل البشر دون انتظار لجزاء؟ وهل انتفاء الجزاء الأخروي يحث على عمل الخير، أم العكس؟

---

(١) مقالات الإسلاميين، ص ٣٤٥.

obeikandl.com

ولقد كشفت التطورات الحديثة من علاقات المسلمين بالغرب وانتهى الأمر إلى تكوين جاليات إسلامية كبيرة في الدول الغربية، وقد واجهت تلك الجاليات متاعب عديدة بسبب اختلاف عقائدها الإسلامية عن اليهودية والمسيحية، والإلحاد، من ذلك:

عرقلة بناء المساجد.

تحريم الحجاب في بعض الدول؛ ورفض تعدد الزوجات.

الاعتراض على **ذبح الأضاحي** في عيد النحر، ولا اعتراض على ذبح اليهود لأضحياتهم!

فَرْضُ مناهج الدين الإسلامي المحرفة في المدارس دون موافقة المسلمين.

إقدام السلطات غير المسلمة على **تفسير القرآن للمسلمين!** (وتلك تفسيرات خاطئة ومغرضة ومضللة)[1].

وفي العقائد يظهر تقارب المسيحيين من اليهود، ورفضهم لعقائد الإسلام، وهذا يرجع إلى كون التوراة كتاباً مقدساً لدى الفريقين، واتحادهما في قيم عديدة.

ولا تزال الكنيسة أسيرة إنكارها القديم لنبوة محمد ﷺ، ولهذا لم تجرؤ على محاولة تصحيح صورته حتى اليوم، على الرغم من مبادرتها تطبيع علاقتها مع الإسلام[2] ولقد شاركت في بعض المؤتمرات فوجدت أن المسألة مجرد مجاملات وسفريات وعزوف عن معالجة القضايا الأساسية.

وهم يحاولون تسويغ مواقفهم الرافضة للإسلام بكلام كثير يرددونه عن: حقوق الإنسان، والديموقراطية وحقوق المرأة، في حين أن البواعث الحقيقية للرفض موروثة منذ الحروب الصليبية وما قبلها من صدامات كان النصر فيها للمسلمين، وهم يرون الآلاف من الغربيين يرتدون عن المسيحية ولا يبحثون عن أسباب ذلك في العقائد التوراتية الإنجيلية وبدلاً من ذلك يتهمون الدعاة المسلمين بأنهم السبب في تلك الردة، ويقيدون نشاطهم الدعوي.

---

(١) مراد هوفمان؛ الإسلام في الألفية الثالثة؛ ص ٢٥٤ - ٢٥٨.
(٢) نفسه؛ ص ١٦٤.

(ب) العبـــادات

توطئـــة

يعطي النبي ﷺ صورة مركزة للرؤية الصحيحة للإسلام في حديث واحد مشرق، يشمل العقائد والعبادات.

قال ﷺ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج ، وصوم رمضان"(١).

والملاحظة الأولى المهمة هي أن **هذا الحديث الشريف ينص على العقيدتين الأساسيتين، وعلى العبادات المفروضة على المسلم.**

والملاحظة الثانية هي أن الحديث لا يذكر كل العقائد، ولا كل العبادات، وقد عرضنا فيما سبق لبعض العقائد، من حيث اختلافها عن العقائد اليهودية والمسيحية. وسوف نضيف هنا حقائق أولية عن العبادات، ولكن الرؤية الصحيحة للإسلام تحتاج إلى المزيد من الدرس والتمحيص، وعلى كل راغب في معرفة الحقيقة ألاَّ يكتفي بما وجده في هذه الدراسة، وإنما يتخذ منها مقدمة لمزيد من المعرفة عن الإسلام ورسوله وكتابه العظيم، وهذه المعرفة متاحة باللغات الأوروبية وبأقلام باحثين غربيين كبار. ولابد لعشاق الحقائق أن يحذروا من الكذابين المفترين الكارهين للإسلام، والذين يملأون المواقع على "النت" دون حسيب أو رقيب!

---

(١) صحيح البخاري؛ (فتح الباري)؛ كتاب الإيمان؛ عن ابن عمر.

obeikandi.com

الصلوات الخمس وشروط صحتها

والصلاة هي العبادة اليومية الواجبة على كل مسلم، يؤديها خمس مرات في اليوم، وهي: الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء.

وقد سأل رجل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال له: "خمس صلوات في اليوم والليلة". قال الرجل: هل عليَّ غيرهن؟ قال عليه الصلاة والسلام: "لا، إلاَّ أن تتطوع". فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله ﷺ: "أفلح إن صدق"(١).

وهذه الصلوات تُؤدَّى في حوالي ساعة، فهي لا تُعَطِّل المسلم عن عمله، بل هي تنشِّطه، لأنه يتصل فيها بخالقه.

وطهارة البدن والثياب ومكان الصلاة شرط لصحتها، وكذلك الوضوء لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وكتب الفقه الإسلامي تبين كيفية أداء هذه الواجبات.

الزكاة الواجبة

والزكاة ركن من أركان الإسلام، وهي عبادة مالية مهمة، وهي فرض على الرجال والنساء الكبار والصغار، والعقلاء والمجانين من المسلمين، ولا تؤخذ من كافر(٢).

---

(١) ابن حزم؛ المحلى؛ رقم ٢٧٥ - ٢ / ٢٢٨.
(٢) ابن حزم؛ المحلى؛ مسألة رقم ٦٣٨ - ٥ / ٢٠١.

والقرآن الكريم يفرض الزكاة في آيات عديدة منها قوله تعالى ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [التوبة: ١٠٣] والتطهير والتزكية مطلوبان لجميع المسلمين.

والزكاة فرض في المال الذي بلغ النصاب (ومقداره يتغير بحسب الأحوال المالية للعصر)، وبشرط أن يكون مدخراً وحال عليه الحول، أي أن الفقراء الذين ليس لديهم مثل هذا المبلغ، ليس عليهم زكاة، وربما يكون من حقهم أخذ جزء من زكاة إخوانهم. وقد قال رسول الله ﷺ ما معناه إن الله افترض الزكاة على الأغنياء لكي تُرد على فقرائهم. وهذا يعني أن الزكاة لا تنقل من بلد إلى بلد آخر، إلا بشروط خاصة.

واليوم تستثمر بعض الجمعيات الإسلامية أموال الزكاة لإقامة مشروعات اقتصادية كبيرة، يوظف فيها الفقراء، وتوزع أرباحها على الأرامل والأيتام والمعدمين والمرضى.

وإلى جانب الزكاة الواجبة يحث الإسلام أبناءه على التصدق؛ وهو ليس فرضًا، لكنه مندوب، ويعد من أفضل العبادات الإسلامية، وهو ليس محدداً بمبلغ معين، بل هو متروك لأريحية المسلم، ومدى حاجة الآخرين إلى المساعدة. وعلى المسلم زكاة يسيرة أخرى عليه أن يخرجها في أواخر أيام شهر رمضان، وهي صدقة الفطر، وهي واجبة على الغني والفقير المستحق للزكاة، فهو يأخذ زكاة ويعطي زكاة.

صيام شهر رمضان

وصيام شهر رمضان كل عام ركن من أركان الإسلام، وفرض على كل مسلم ومسلمة، والصيام في الإسلام يقتضي الامتناع عن الطعام والشراب، ومعاشرة النساء في أثناء الصيام فقط. وعلى المسلم أيضًا الامتناع عن الآثام، كالكذب، والتطفيف في الميزان، والسباب، وتعطيل أعمال الناس، وغير ذلك من المعاصي.

obeikandl.com

ومدة الصيام شهر، (٢٩ أو ثلاثون يومًا) . من وقت الفجر إلى وقت المغرب . وبعد المغرب يباح للصائمين الطعام والشراب والمعاشرة الزوجية .

يقول الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة :١٨٣] فالتقوى هي الثمرة المرجوة من الصيام . ويقول سبحانه ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ [البقرة : ١٨٤] فأجاز الله تعالى الإفطار للمريض والمسافر، على أن يقضي عدة أيام إفطاره بعد الشفاء أو انتهاء السفر .

وقال تعالى ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

ونستفيد من هذا أن الصيام كُتب على الذين من قبلنا، لكننا لا نعرف كيف كانوا يصومون، والمسيحيون يصومون عن كل طعام أصله كائن حي، ويأكلون ما عدا ذلك، وهذا يختلف تمام الاختلاف عن صيام المسلمين، وأنا أحسب أنه أيسر من صيامنا، وإن كان المسيحيون لا يوافقونني على ذلك .

ويندب الصيام نَفْلاً في عدد من الأيام، ويحرِّم أيام العيدين ويوم الشك .

الحـــج

والحج ركن من أركان الإسلام، وهو فرض على كل مسلم عاقل بالغ، إذا توفرت له الاستطاعة .

قال تعالى ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ [آل عمران : ٩٧] والاستطاعة صحية ومالية واجتماعية، لأن الله تعالى يقول ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

ويجب على المسلم أن **يخطط للوصول إلى الاستطاعة**، وحرام عليه أن يبدد الاستطاعة أولاً بأول، بالإسراف المالي، والمعاصي التي تضر صحته .

وعلى الحاج أن يكون عونًا لإخوانه الحجاج، وخصوصًا كبار السِّن والضعفاء، لقوله تعالى ﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ١٩٧].

وعلى الحاج أن يهتم بدراسة المحظورات في أثناء الإحرام، حتى لا يفسد حجه بارتكاب أحد المحظورات دون علم.

وقد اختلف الفقهاء في **وجوب العمرة**، واختار ابن حزم القول إنها واجبة، استنادًا إلى قول رسول الله ﷺ: "دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة"(١).

وللمرأة أن تسافر لأداء الحج دون زوج أو محرم، والأفضل أن يكون معها محرم(٢).

ويجوز أن **يمارس الحاج التجارة** في الحج إذا احتاج إلى ذلك، لكن يجب أن يكون الحج أصلاً بنية الحج، لا بنية التجارة.

* * *

(١) المحلّى؛ المسألة رقم ٨١٢ - ٧/ ٤٢.
(٢) ابن حزم؛ السابق؛ المسألة رقم ٨١٣ - ٧ / ٥١.

obeikandl.com

(جـ) المقاصد العليا للشريعة

والرؤية الصحيحة للإسلام تتضح أكثر بالوقوف على المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، وهذه المقاصد هي: حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال والعرض.

ومن البدهي أن الحياة البشرية لا يمكن أن تستمر بدون حفظ هذه المقاصد.

حفـظ الديـن

فبـدون حفظ الدين ينزلق البشر إلى الإلحاد أو إلى معتقدات باطلة، كما هو حاصل الآن في بعض المجتمعات، وتبعًا لذلك تنهار القيم الأخلاقية المطلقة الثابتة، ويسود المذهب اللَّذي والبراجماتي، والأناني، وتنحصر حياة البشر في الطعام والشراب واللباس والمسكن والمركب، والمصالح المادية عامة، وتندثر الحياة الروحية أو تنكمش إلى أقصى الحدود، وعندئذ يصح القول إن الدنيا غابة كبيرة، والإنسان ذئب أو وَحْش يعيش بين وحوش. ولعل المجتمعات الشيوعية هي التي تمثل الحياة بغير دين، وقد كان الدين يحارب بكل الأسلحة الممكنة في تلك المجتمعات، ولهذا فشلت الشيوعية في الاتحاد السوفيتي، وفي الدول التي سارت على نهجه.

وبدون الدين تنتشر الأمراض النفسية، والجريمة، ويقبل الناس على النشاط الجنسي خارج رابطة الزواج، وتنخفض أعداد المواليد، مما يسبب مشكلات اجتماعية واقتصادية كبيرة. وتعاني دول عديدة في الغرب اليوم من الانكماش السكاني[1].

ولتحاشي هذه الكوارث يحرم الإسلام الإلحاد والوثنية، ولا يسمح لأحد أن

---

(١) راجع القضية بالتفصيل في كتابي: البديل الأمريكي للإسلام؛ المبحث الأخير.

obeikandl.com

يعيش في مجتمعه بدون ديانة سماوية (يهودية أو مسيحية). والله تعالى يقول ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٣] وينهى القرآن الكريم والسُّنة النبوية اليهود عن العمل يوم السبت لأنه محرم عليهم بحكم التوراة.

ونظرًا للأهمية البالغة للدين في حياة البشرية، شدد الإسلام عقوبة الردة، فإذا كان الدين هو أعظم القيم كانت الردة أفحش الآثام، وكانت العقوبة عليها أشد عقوبة.

يقول الإمام النووي، شارح "صحيح مسلم" : "إن مذهب أهل الحق أنه لا يُكَفِّر أحدٌ من أهل القبلة بذنب، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع؛ وإن من جَحَدَ ما يُعلم من دين الإسلام ضرورة حُكِم بردته وكفره، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه، ممن يخفى عليه، فيعرَّف ذلك، فإن استمر حُكِم بكفره، وكذا حكم من استحل الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة"(١).

وهذا منتهى التسامح، والتماس الأعذار، والرفق بالجهال؛ ويلاحظ التفريق بين اقتراف الآثام، كشرب الخمر، وبين استحلال شربها، فالشرب له عقوبته، أما القول إنه حلال ففيه تكذيب للنصوص التي حرمته.

حفظ النفس

حفظ النفس يعني الحفاظ على أرواح البشر وصون دمائهم، فإن "الأنفس" هم الذين يعبدون الله في هذه الحياة، وإذا قتلت نفس عُدِمَ متعبد لله تعالى، والله تعالى كرَّمَ الأنفس البشرية حين خلقها بنفخة من روحه العلية، وقد حرَّم قتلها في الأديان السماوية، وشدد العقوبة على قتلها.

---

(١) صحيح مسلم؛ ١ / ١٥٠ - الهامش.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ ﴾ [البقرة: ١٧٨] ومجَّدَ الله تعالى القصاص فقال: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩] وقد أثبتت الأيام – خصوصًا في العصر الحديث الذي حرَّمَ القصاص – أنَّ في القصاص حياة حقًّا، فتحريم الإعدام في بعض الدول شجع المجرمين على القتل، وهَوَّنَ من قيمة "النفس" البشرية؛ فزادت حوادث القتل زيادة كبيرة(١).

يرفع الإسلام من قيمة حفظ النفس حتى تصير من أسمى القيم الأخلاقية، ويفصِّل ابن حزم الواجبات التي يفرضها حفظ الأنفس فيقول: "ومما كتبه الله تعالى أيضًا علينا استنقاذ كل متورط من الموت إما بيد ظالم كافر، أو مؤمن متعدٍّ، أو حية أو سبع، أو نار أو سيل، أو هرم، أو حيوان، أو من علة صعبة نقدر على معافاته منها، أو من أي وجه كان، فوعدنا على ذلك الأجر الجزيل الذي لا يضيعه ربنا تعالى الحافظ علينا صالح أعمالنا..."(٢).

وتسمو هذه القيمة الإسلامية إذا عرفنا أن النفس مطلقًا، لا النفس الزكية، هي غاية الحفظ والرعاية، فلا تفرقة عنصرية في الإسلام.

حفظ النسل

يحرص الإسلام على عمارة الأرض، وبقاء الجنس البشري؛ والسبيل إلى ذلك هو الزواج والإنجاب، فالزواج هو النظام الذي يكفل كثرة النسل، واجتناب اختلاط الأنساب، وتمكين كل مولود من معرفة أبيه وأمه وإخوانه وأخواته، وأجداده، وأعمامه وأخواله الذين يرتبطون به بروابط الدم والرحم، ويكفلون له التربية الاجتماعية الصحية، ويكونون له كفلاء وأعوانًا، في السراء والضراء.

---

(1) Crime in Britain Today; 25

(٢) المحلى: ١١ / ١٩.

obeikandl.com

ومن أجل تحقيق هذه الغاية العليا أعنى حفظ النسل، يحث الإسلامُ على الزواج وينهى عن العزوبية والرهبنة، ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ [النساء: ٣]. ويقول النبي ﷺ: "يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء"(١).

ولا ريب أنَّ النسل مسئولية كبيرة ونفقات باهظة، لكن الأولاد متعة لآبائهم وأمهاتهم لا تعدلها متعة، وبخاصةً البارِّين منهم، والله تعالى يقول: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الكهف: ٤٦] ومن المؤسف أنَّ كثيراً من الشباب والشابات في الغرب خاصة، يتهربون من مسئوليات الزواج والأولاد، ويزين لهم الشيطان أنَّ الحياة دون زواج أفضل وأمتع، لكن سرعان ما تحل الشيخوخة فلا يجد الواحد منهم من يسأل عنه مجرَّد سؤال بالهاتف، وهو في أمس الحاجة لذلك.

حفظ العقل

والحياة العقلية تُعد من أبرز مكونات الرؤية الصحيحة للإسلام، والعقل هو الذي يميز الإنسان من الحيوان، وبه يدرك الإنسان صدق النبي ﷺ وصحة الرسالة الإسلامية، ويفهم القرآن والسنة وما فيهما من عقائد وشرائع وعبادات وأخلاقيات، قال تعالى ﴿ **ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [الروم: ٢٨] وقال أيضاً: ﴿ **وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [النحل: ٦٧].

---

(١) الهيثمي؛ الزواجر؛ ٢/ ٢.

والعقل هو مناط التكليف، وغياب العقل يسقط التكليف، فالمجنون ليس عليه واجب، ولا عليه عقاب إذا فعل إثماً، وكل الكائنات التي لا تعقل لا تكاليف عليها، والصغار من البشر غير مكلَّفين، إلاَّ عند البلوغ، أي بلوغ درجة من النضج العقلي، اتفق العلماء على الشواهد الدالة عليها.

ويحرص الإسلام على الحقائق التي هي غذاء العقول، ويدين الكذب والتضليل والباطل، وهو يشرِّع من أجل أن يملأ عقل المسلم بالحقائق، ويطهره من الأباطيل والخرافات، وحرم الإسلام الخمر لأنها تذهب بالعقول وتنزل بالبشر إلى مرتبة الحيوانات.

وحث الإسلام على التعليم، وأكد فضل العلماء، فازدهرت العلوم العقلية والدينية والدنيوية في البلاد المسلمة، حتى صارت مقصد الطلاب من الغرب والشرق على السواء، وفي الوقت نفسه اقتبس المسلمون العلوم الصحيحة من اليونان والهنود والفرس، وردوا ما فيها من أخطاء وخرافات، وأضاف المسلمون حقائق جديدة ومهمة لما كان معروفاً عند غيرهم، وأبدعوا علوماً جديدة ذات طابع عقلي إسلامي فريد، أهمها علم أصول الفقه الإسلامي.

حفظ المال

والمال جانب مهم جداً في الرؤية الصحيحة للإسلام، إنه قوام الحياة، وتنظمه شرائع عديدة كسباً وادخاراً وإنفاقاً ووراثة، قال تعالى ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [الكهف: ٤٦] وقال سبحانه ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [الأنفال: ٢٨] ونبَّه المؤمنين إلى واجب الحذر في معاملة السفهاء فقال جل جلاله ﴿ **وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا** ﴾ [النساء: ٥] وحذر العباد من أكل الأموال بالباطل فقال سبحانه ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ** ﴾ [البقرة: ١٨٨]

وحث الإسلام أبناءه على العمل وكسب المال فقال جل شأنه: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ [الملك: ١٥]

وأحاط الإسلام الأموال التي أحرزها مالكوها بالطرق الشرعية بسياج متين من التعاليم والتشريعات، فحرَّم السرقة والغَصْب والغش والاحتكار والتطفيف، وأعطى المالك حرية التصرف في ماله في نطاق الشرعية، حتى وجدنا رسول الله ﷺ يرفض التسعير ويقول إن: "الله هو المسعِّر." أما المال الحرام فلا حرمة له، ويجب التصرف فيه على نحو يعيد إليه شرعيته.

وأباحت الشريعة الإسلامية للمالك الحق في الدفاع عن ماله ضد أي لص أو مغتصب، بما في ذلك قتله إذا لم يندفع إلا بالقتل، وإذا قُتل المالك دفاعًا عن ماله فهو شهيد بحسب نص الحديث الشريف.

حفظ العِرْض

والعِرْض من أثمن ما يملكه الإنسان، والمقصود هو سمعة المرء أو سيرته بين الناس، وسيرة أهله أيضًا، ويستند احترام الناس للمرء على حسن سمعته، وكثير من المعاملات المالية والاجتماعية يعتمد على السمعة الحسنة للمرء المسلم، والسمعة السيئة تصرف الناس عن التعامل مع صاحبها، تجاريًّا واجتماعيًّا، وقد يفشل مشروع زواج لأن أحد الطرفين عَرفَ أمرًا مشينًا في سيرة الطرف الآخر، وربما كان ذلك الأمر المشين مجرد كذب لا حقيقة له، وقد يحدث العكس أيضًا.

فالعِرْض يتعرض للتزييف سلبًا وإيجابًا، فتُختلق السلبيات والمعايب كما تختلق الإيجابيات والمفاخر، ويعتبر رمْي المحصنات، من أفحش الآثام التي تدمر السيرة الحسنة للرجل أو المرأة، وقد أدان القرآن الكريم ذلك الإثم فقال جل جلاله ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ**

﴿شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤] ولا ريب أن ضياع ثروة من المال أهون من ضياع السمعة الطيبة للرجل أو للمرأة.

والنيْل من عِرْض المرء المسلم يتدرج في الشدة، ورَمْي المرأة المحصنة هو أشد درجاته أذًى، وكذلك رمْي الرجل المحصن، لكن اتهامات كثيرة متدرجة قد تلحق بسيرة المرء المسلم فتصوره للآخرين في صورة سيئة، وقد تكون اتهامات باطلة أو مبالغ فيها، يرددها الجاني من وراء ظهر المجني عليه، فعلى المجتمع المسلم أن يحبط هذه الآثام، بعدم سماعها وزجر المروجين لها ومعاقبتهم، وتذكير الجماهير بواجب احترام أعراض الآخرين.

* * *

obeikandl.com